المدينة في الشعر النسوي الجزائري
تجربة الشاعرة : (منيرة سعدة خلخال) أنموذجا

ملخص

سيطر الصوت الذكوري على كامل امتدادات حركة الشعرية العربية، غير أن التغيرات السوسيوثقافية التي شهدها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال سواء على مستوى ترقية الواقع الاجتماعي والثقافي للمرأة، أم على مستوى نهضة المدينة و استعادة هويتها الأصيلة، - هذه التغيرات – ساهمت في بروز الصوت النسوي، كما غذت شعريته بتيمة المدينة بوصفها المكان / الهاجس في التجربة الشعرية، ولذلك يأتي هذا المقال ليحاول تقديم مقاربة نقدية لتيمة حضور المدينة في الشعر النسوي الجزائري من خلال دراسة تجربة واحدة من أهم الشاعرات الجزائريات من اللواتي برزت تيمة المدينة في دواوينهن بكثافة و تنوع ، ألا و هي الشاعرة المتميزة : (منيرة سعدة خلخال).

د. أحسن تليلاني

قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سكيكدة
الجزائر

Résumé

Longtemps soumis à la suprématie dominante de la gent masculine sur le mouvement poétique arabe , la poésie féminine est laissée au second plan . pourtant on assiste depuis l'indépendance quoique timidement et conséquemment aux divers bouleversements socioculturels qu'a connu la société algérienne dans toutes ses composantes, la voix féminine sort en tant soit peu de son mutisme.

En effet , ce changement qui se traduit aussi bien au niveau de l'émancipation de la femme obtenu au prix de sacrifices consentis pour une meilleure intégration dans la vie socioculturelle et afin

مقدمة

ترتبط هذه الدراسة في منطلقها العام بفكرتين أساسيتين ،هما (المدينة في الشعر) من جهة ، و(الشعر النسوي) من جهة أخرى، وهما فكرتان مستحدثتان في الشعرية العربية، ونعتقد أنهما من نتائج الاتصال بالحضارة الغربية.

وتوخيا للدقة والمنهجية، فإنه يتوجب علينا في البداية أن نقف عند مفهوم هاتين الفكرتين، ففي تعريفه لشعر المدينة، يذكر إبراهيم رماني – فيما يرى (ج.هـ.جونسون J.H.Johnson) أنه ذلك " الشعر الذي يصف مدينة واقعية وصفا مباشرا ، أو يصف البشر الذين

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2015.

surtout de mieux faire entendre sa voix , longtemps étouffée et sacrifiée sur l'autel de la discrimination . Ce changement de statut va de pair avec le développement de la ville qui l'a aidé à retrouver sa place et son identité perdue . Ces changements ont surtout par leur apport indéniable contribué à l'émergence et a la restauration de la voix poétique féminine , comme ils , ont contribué surtout à mieux alimenter sa poéticité . Ce changement n'a été possible que grâce aux changement de mentalité lié à la promotion de la ville , seul espace favorisant l'expression poétique . c'est dans cette optique , qu'on a voulu inscrire cet article beaucoup plus dans la perspective d'une approche problématisante , introductive sur la présence de la ville dans l'œuvre poétique féminin algérien , en prenant comme référence et pas des moindres . il s'agit d'une première expérience consacrée à l'une des figures de proue , des plus emblématique des poétesses algériennes dans le domaine très peu exploité en algérie , en l'occurrence Mounira Saada khalkhal .

تتأثر حياتهم بتجربتهم في تلك المدينة تأثرا واضحا ". (1)

إن فكرة شعرية المدينة - مثلما يؤكد رماني – هي امتداد لشعرية المكان ، أي المدينة / المكان كما هي في الواقع ، وكذلك المدينة / المكان كما يشكلها (ه) الشاعر، ويتخذها (ه) مرآة تعكس العالم وموقفا من حركة التاريخ. (2)

غير أن امتداد فكرة شعرية المدينة مع فكرة شعرية المكان لا ينبغي له أن يجعلنا نغفل حقيقة أن موضوع المدينة في الشعر فكرة شديدة المعاصرة، ترتبط بالقرن العشرين ومنجزاته، فالشعر المعاصر ينطلق من مفهوم حضاري في تصور جديد للكون والمجتمع والإنسان ، بفعل من الثورة العالمية في مستوياتها الاجتماعية والفكرية والتكنولوجية.(3)

أما الشعر النسوي فهو يختلف في مفهومه عن شعر المدينة، من حيث كونه ليس ذلك الشعر الذي يكون موضوعه المرأة كما قد يتبادر إلى الذهن، ولكنه الشعر الذي تنتجه المرأة، والذي قد نجده بتسميات متعددة على غرار الشعر النسوي أو النسائي، وشعر المرأة أو شعر الحريم أو الشعر الناعم وغيرها ، وهو تصنيف ظهر حديثا في سياق النضال التحرري الذي خاضته المرأة من أجل انتزاع حقوقها المهضومة بفعل سيطرة الذكورة في المجتمعات البشرية.

ولعل السؤال المنطقي الذي يطرح نفسه في هذا المقام ، يتمثل في طبيعة العلاقة القائمة بين المدينة كمنجز حضاري و الشعر الذي تكتبه المرأة أو الشعر النسوي ؟

إن نظرة فلسفية عميقة في طبيعة المجتمعات البشرية لا بد وأن تكشف لنا حقيقة ارتباط المرأة بالمكان، حتى لكأن المكان لا يكتسب مدلوله وذاكرته بمعزل عن حضور المرأة فيه، المرأة هي أساس الأسرة والمجتمع، إنها الرحم والأرض والوطن، هي السكن و هي السكينة، هي المدينة : سرها وسحرها في الوقت نفسه. ولأن الأمر كذلك فليس عجيبا أن تكون كل الصيغ اللفظية الدالة على المدينة هي صيغ مؤنثة، كقولنا المدينة والحاضرة، بل إن أسماء المدن العربية وحتى العالمية هي أسماء مؤنثة، كقولنا الجزائر البيضاء، والقاهرة المحروسة، وتونس الخضراء.

إننا لا نزعم أن الرجل ريف في خشونته وغلظته ورعونته، ولكننا نزعم أن المرأة مدينة في رقتها ولطافتها وجمالها.

لقد سيطر الصوت الذكوري على عموم الشعر العربي، حتى أن من أكثر المصطلحات شيوعا في الشعرية العربية هو مصطلح الفحولة، وهو مصطلح مشتق من الفحل وهو الذكر من الإبل القوي جنسيا والقادر على الإنجاب، مما يدل على أن صناعة الشعر في عرف العرب لا يقدر عليها إلا الرجال من دون النساء، ولذلك لاحظ يوسف وغليسي أن حضور المرأة في فضاء الإبداع الأدبي الجزائري لا يزال حضورا باهتا جدا لا تتجاوز نسبته 10% بالمقارنة مع حضور الصوت المذكر .(4)

إن التقدم الحضاري قد أخذ يعطي للمرأة مكانتها اللائقة في المجتمع، ولأن هذا التقدم قد انبنى أساسا على الانتقال بالإنسان من طابع البداوة إلى قيم المدنية ، فإن فكرة المدينة في الشعر قد تساوقت بشكل منطقي مع فكرة الشعر النسوي. فإذا جاز لنا أن نقول بأن الرجل هو شاعر الريف دون منازع، فإن المرأة بالمقابل هي شاعرة المدينة بكل جدارة، ولأن المرأة هي الأقرب لروح المدينة ، فمن الطبيعي أن يكون حضور المدينة في الشعر النسوي قويا وذا دلالات متعددة .

المدينة في شعر منيرة سعدة خلخال:

لعله من المفيد أن نشير في هذا المقام إلى ملاحظتين عامتين ولكنهما هامتان، تتعلق الأولى بحداثة عمر التجربة الشعرية النسائية في الجزائر، بحيث لا يكاد هذا العمر يتجاوز السبعينات من القرن الماضي مع صدور أول ديوان شعري بعنوان (براعم) للشاعرة مبروكة بوساحة سنة 1969 ، وتتعلق الثانية بصورة المدينة في الشعر الجزائري الحديث بوجه عام ، حيث يذكر إبراهيم رماني أن مفهوم المدينة لدى الشاعر الجزائري قد ارتبط برمز الاستعمار، ففي الوقت الذي نجد فيه الشاعر الرومانسي يقوم برفض المدينة لأنها رمز الصناعة والاستغلال، ويهرب إلى الطبيعة لأنها رمز الخير والجمال، فإن الشاعر الجزائري يرفض المدينة لأنها رمز الاحتلال وفي مقابلها يهرب إلى الريف لأنه رمز الأصالة والهوية، ولذلك حفل الشعر الجزائري المواكب للثورة بتمجيد الجبال لأنها حصن الأحرار .(5)

وانطلاقا من هاتين الملاحظتين يمكننا أن نخلص إلى أن حضور المدينة في الشعر النسوي الجزائري قد بدأ يتأسس متفاعلا مع إعادة تشكل الوعي السوسيو ثقافي للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال، وذلك على مستوى نهضة المدينة الجزائرية واستعادة هويتها العربية الإسلامية من جهة، وعلى مستوى ترقية الواقع الاجتماعي والثقافي للمرأة الجزائرية من جهة ثانية. ولذلك ليس غريبا أن يتجلى حضور المدينة في الشعر النسوي الجزائري بأكثر قوة لدى الأصوات الشعرية الجديدة من جيل الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، وفي هذا المجال يمكننا أن ندرج تجربة الشاعرة منيرة

سعدة خلخال بوصفها من أهم التجارب الشعرية النسائية الجزائرية التي صورت موضوع المدينة، ذلك أن المدينة " إطار مكاني لما يجيش به المجتمع من الحركة والتشكل المستمر للقيم وأنماط الحياة، وليس هذا فقط بل هي عمق للحركة و التشكل، وباعث لهذه الحركة ومحصلة لها في نفس الوقت ".(6)

في رصيد الشاعرة منيرة سعدة خلخال من الدواوين الشعرية حتى الآن ثلاثة هي على التوالي :

1- (لا ارتباك ليد الاحتمال) (7).

2- (أسماء الحب المستعارة)(8) .

3- (الصحراء بالباب) (9).

إن عموم قصائد هذه الشاعرة عبر دواوينها الثلاثة لا تخلو في الحقيقة من تصوير لموضوع المدينة ، غير أن حضور هذا الموضوع يبدو بأكثر قوة وكثافة وتنوع في الدلالات بصفة متباينة من ديوان إلى آخر، وإننا يمكن أن نتلمس صور حضور المدينة في شعر (منيرة سعدة خلخال) من خلال التجليات الآتية :

1- تمجيد المدينة و التغني بجمالها:

إن الدارس لما تضمنه ديوان : (أسماء الحب المستعارة)، وهو ديوان كبير نسبيا حيث يبلغ عدد قصائده 34 موزعة على 137 صفحة من الحجم المتوسط، لا بد و أن يلاحظ حضور المدينة فيه: المدينة الواقعية ممثلة في مدينتي قسنطينة والجزائر العاصمة، والمدينة اليوتوبيا، أو المدينة الفاضلة مثلما تتجسد في وجدان الشاعرة وتحلم بها في مخيلتها .

إن مدينة قسنطينة أو سيرتا هي مسقط الرأس بالنسبة للشاعرة، إنها منبتها و مرتع طفولتها ومحل إقامتها ، فيها ولدت بتاريخ 08-08-1970 ، وفيها عاشت و تعيش و تعمل وتقيم إلى يوم الناس هذا، أما مدينة الجزائر فقد انتقلت إليها، وأقامت فيها بضع سنوات لإتمام تعليمها الجامعي الذي توجته بالحصول على شهادة الليسانس في علوم الإعلام والاتصال من جامعة الجزائر سنة 1993. إننا نجد هاتين المدينتين حاضرتين بقوة في دواوين الشاعرة سواء داخل القصائد أو خارجها، حيث دأبت الشاعرة على ختم قصائدها بملاحظات تتضمن التأريخ لها زمانيا ومكانيا، حتى لكأن الشاعرة لم تتأثر بأية مدينة في حياتها ماعدا قسنطينة والجزائر العاصمة، وأن شيطان الشعر لم يزرها إلا في قسنطينة والجزائر العاصمة، مادامت كل نصوص الديوان مكتوبة في واحدة من هاتين المدينتين، ما عدا نص واحد بعنوان (ألق) كتب في مدينة وهران.

يلاحظ المتصفح لديوان (أسماء الحب المستعارة) أن (شاعرة المجاز) كما لقبها يوسف وغليسي (10) لا تذكر اسم مدينة الجزائر العاصمة صراحة في عناوين

قصائدها، ولكنها في مقابل ذلك تذكر مدينة سيرتا في عنوانين هما: (فيروز سيرتا والشاطئ الحزين) و(سيرتا و أنا).

إن الشاعرة تتباهى بجمال قسنطينة، فتمجد هذا الجمال و تخلع عليه من الصفات والمعالم ما يعبر عن عشقها لهذه المدينة الساحرة، حيث تقول في قصيدة (فيروز سيرتا والشاطئ الحزين) :

"كي تعرف أن لسيرتا موانئ و أشرعة

و حبات رمل و شمس محرقة

أصيل متيم

و نوارس لا تهجر إذا جاء المساء شطآنها

هديرا يسبح للألفة

يفتح شبابيك القلب العتيقة

لتزقزق عصافير الروح

في برية الكلام المباح

ليخفق العمر

من جديد"(11)

إن الشاعرة في هذا المقطع تقوم بتمجيد مدينة قسنطينة، فتتغنى بجمالها، وتخلع على هذا الجمال من الصفات والمعالم الطبيعية ما هو ليس في الحقيقة مما تملكه مدينة قسنطينة في الواقع، حيث جعلت لها الشاعرة موانئ وأشرعة ورمال ونوارس لا تهجر الشطآن، وكأن قسنطينة مدينة ساحلية تقع على ضفاف البحر في حين أنها في الواقع مدينة داخلية .

إن هذا المقطع يعبر عن حنين الشاعرة لمدينة قسنطينة وشوقها العارم إليها خاصة ونحن نلاحظ أن هذه القصيدة قد كتبت في ابن عكنون بالجزائر العاصمة، وكأن الشاعرة تحمل عشق قسنطينة بين جوانحها حيثما حلت وارتحلت، وأن هذه المدينة تكبر في أعماقها حتى لتراها كاملة الأوصاف والملامح والمعالم .

2- التعبير عن الشعور بالاغتراب في المدينة :

منيرة سعدة خلخال شاعرة قسنطينية صميمة كما ذكرنا آنفا، ونحن إنما نلح على هذه المعلومة لنؤكد على أن شاعرتنا مدينية المولد والمنشأ، وهي بذلك تختلف عن كثير من شعراء الجزائر من أبناء البوادي والأرياف والصحاري، فإذا كان انتصار هؤلاء

للريف على حساب المدينة يعبر عن رد فعل رومانسي أو إيديولوجي، فإن إحساس شاعرتنا بالوحدة و الاغتراب في مدينتها التي ولدت فيها و عاشت و ما زالت تعيش، إنما يعبر عن موقف نفسي يعتبر" المدينة واقعا مسطحا ينعكس على وجهه تمزق الشاعر أو التوتر الوجودي بينه وبين المدينة أي مجتمع المدينة على نحو دقيق " (12) ، ففي قصيدة (سيرتا وأنا) تعبر الشاعرة عن اغترابها وإحساسها بالوحدة في مدينة قسنطينة حيث تقول :

"عن مدينة تحل بي

توقظ في جرحها الأول

تفرد لي سحنة البجع الرائد

في السفر الكاسر

والنواح..

مدينة أعارتني اسمها المكبل بالتيه

والمواويل الحزينة

أجازت لي الوحدة

كل الوحدة ..

واشرأبت بالغياب" (13)

في هذا المقطع تعبر الشاعرة عن حزنها المفرط و هي تعيش في قسنطينة، هذه المدينة التي سكنت أعماق الشاعرة، فسقتها الجراح وملأت سمعها بالنواح والمواويل الحزينة، ثم سيجت حياتها بالوحدة القاتلة .

غير أننا نعتقد أنه وعلى الرغم من ضيق الشاعرة بمدينتها وشعورها بالوحدة والاغتراب فيها، إلا أن الشاعرة لم توفق في تشخيص حالة الصراع بين ذاتها وبين المدينة، بحيث تدخل الذات الشاعرة في حالة صراع وتناقض مع المدينة وقيمها وأوضاعها، مثلما نجد ذلك في الشعر الغربي، وهي ظاهرة تكاد تشمل عموم الشعر العربي، وتأكيدا لهذا الحكم يمكننا أن نستدل بما ذكره إحسان عباس في كتابه (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) حيث لاحظ بأن علاقة الشعر العربي بالمدينة لم تعبر عن صدمة حضارية، وأن الموقف الحضاري إذا كان موجودا في بعض القصائد فإنه يعبر عن نفسه من خلال الموقف الإيديولوجي إزاء المدينة وتناقضاتها (14). وهي الملاحظة نفسها التي يؤكد عليها كثير من الدارسين الذين يعتقدون بوجود فرق كبير بين المدينة الغربية و مثيلتها العربية، كما يفرقون بين شعر المدينتين، فرفض المدينة وهجاؤها في الشعر العالمي مثلا هو موقف نابع من ثورة صناعية انتزعت إنسانية الإنسان، فالشعر الأوروبي يواجه الخطر الذي يراه قادما من الهجوم

الحضاري، أو من عدم انسجام الشعر والعصر، مما يجعل الشاعر يتراجع عن مكانته (15) .

ولذلك نجد الشاعرة في ختام قصيدتها، تتراجع عن موقفها الرافض للمدينة، بل على العكس من ذلك فهي تفضل الانتصار لمدينتها، والرضا بما هي عليه فيها، حتى ولو كان ذلك على مضض، إنها في هذه الحالة مثل ذلك العاشق الذي تنتابه لحظات من الضجر من معشوقه، ولكنه في الوقت نفسه سرعان ما يعود إلى أحضانه بأكثر عشق ومحبة، فالشاعرة لا تتوانى عن الاعتراف بعشق قسنطينة، هذه المدينة التي سكنت وجدانها، حيث تعبر عن ذلك في ختام قصيدة " سيرتا وأنا "قائلة :

" سيرتا
وأنت الاستفاقة الأولى ..
المرج المتنامي
المتخطي عتبة هذا القحط
السنونو الأول المقتحم
نضارة هذا.. القلب !
ناوليني رجائي إليك
إغفلي هذا الذهاب عني
واعذري السلام المرتعش
خذيني إليك
وأنت الضفة الأخرى لشهقتي المحتبسة
بمقلة غربة دهرية..
أكتبي لي كل عناوين القسوة
و دعيني أحبك
كما أنت
جسرا ونبضا
إليك يهديانى ..
التي أنت " (16)

والملاحظ أن هذه القصيدة أيضا قد كتبت في بن عكنون بالجزائر العاصمة، ولذلك يمكننا أن نقول بأن الشاعرة منيرة سعدة خلخال تحمل عشق قسنطينة في قلبها ونبضها حيثما حلت وارتحلت، ولعلها تزداد حبا وشغفا بمدينتها كلما ابتعدت عنها أو سافرت إلى مدينة أخرى.

3- نقد المدينة و تصوير المأساة الوطنية :

في ديوان (الصحراء بالباب) وهو أقل حجما من سابقه (أسماء الحب المستعارة) حيث يضم أحد عشر (11) نصا فقط موزعة على ثمانية وخمسين (58) صفحة من الحجم المتوسط، في هذا الديوان نجد واحدة من أقوى قصائد الشعر الجزائري المعاصر، وأكثرها تعبيرا عما ألم بالجزائر خلال عشرية الدماء والدموع، وقد اختارت الشاعرة لهذه القصيدة عنوانا فجائعيا هو (أصداء الزنزانة 25)، ويبدو أن الشاعرة قد عمدت إلى تشخيص الحالة المأساوية التي آلت إليها الجزائر عامة ومدينة قسنطينة خاصة، فجعلتها سجينة داخل زنزانة، وصورتها مدينة ضربها زلزال عنيف، فتحققت فيها رؤيا المرحوم الطاهر وطار في روايته (الزلزال)، حيث تقول الشاعرة في هذه القصيدة :

"و المدينة مقلوبة
عزيز خطبها ، أخاذ !
عائم في صقيع الصمت المسنون
.....
رؤيا عمي الطاهر تتمطى / سباقة/
في خيال الوقت
يقرع طبول المهزلة" (17)

إن الشاعرة في هذه القصيدة تنتهج أسلوبا حداثيا في استعمال التناص، والانفتاح على نصوص الآخرين، إذ لا تكتفي فقط باستدعاء رؤيا شخصية (بولرواح) في رواية (الزلزال) للطاهر وطار، بل تعمد إلى توظيف عدد من الأصوات لتصوير ما ألم بالمدينة من خراب، فنجد توظيف التراث الشعبي في مناجاة (سيدي راشد) و(سيدي مسيد)، ونجد توظيف صوت (كاتب ياسين) في رواية (نجمة) ، وهو ما جعل الشاعرة تفلح في رسم لوحة تراجيدية صادقة لما ألم بقسنطينة وبالوطن كله ، فتقول :

"تعلقت ببال العمر أسئلة جسور سبعة
توارثت أجيال النسيان أسرار نجمة
أفل المجيء إليها
وشاع الدوار المقصور على غواية السباحة
نصب طموحات (الريميس)
و(سيدي مسيد) يرفع تواشيحه البلسم
عن أماني اللواتي تكحلن بماء (النشرة)
فتتفرك عند بوابة الحصن الثامنة
عناقيد ألغام متفاوتة الغدر

من كهوف البقاء
من يذكر سيرتا ؟
من علمها كل هذا الاختفاء ؟
من أخرس الوهج في دقاتها ؟
من سمح بتقطير الدفلى في عروقها ؟
من انتحل زرقة صباحاتها وأدماها ؟
ثم من أفناها ؟
وأضرم في الكون هذا الحريق ؟ " (18)

إنها تشير بأصابع الاتهام إلى آفة الإرهاب الأعمى الذي عصف بالوطن، فسقاه بدل الماء ألغاما غادرة ، جعلت سيرتا سجينة في غيابات النسيان، والشاعرة تتساءل بلهجة المتعجب المستنكر عن الجهة أو الجهات التي منحت قسنطينة مكان الوردة سكينا، فأدمتها و أفنتها وأضرمت في الكون حريقا مهولا .

4-رثاء المدينة لما ألم بها من كوارث طبيعية :

رثاء المدن غرض معروف في الشعر العربي عامة، والأندلسي منه خاصة، و ذلك بسبب ما أصاب المدن العربية الإسلامية من نكبات، فكتبت القصائد في رثاء بغداد والبصرة وطليطلة وإشبيلية وقرطبة، لكن الشاعرة منيرة سعدة خلخال في قصيدتها الموسومة بعنوان (خارج النهار) تقوم برثاء مدينة الجزائر العاصمة جراء نكبة الفيضانات التي ألمت بحي (باب الوادي)، وهي النكبة التي أحدثت خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وخلفت حالة مريعة من الآلام و الدموع ، تقول الشاعرة:

" لماذا تشرع (البهجة) باب الواد لتغرق ؟
لماذا يستعرض البحر نقمته ؟
لماذا تنحاز الأمطار إلى جيش النكبة ؟
ولماذا تستأثر الصورة – دائما – بوهج التعليق ؟" (19)

الملاحظ أن الشاعرة تحسن استعمال صيغة الاستفهام بغرض التعجب، فهي تتعجب من إقدام البهجة أي الجزائر العاصمة: مرتع السعادة، على إغراق باب الواد ، وتتعجب من نقمة البحر على عشاقه، وانحياز الأمطار للخراب وهي التي كانت دائما رمز الخير والرزق. والشاعرة في كل ذلك ترثي مدينة الجزائر وتبكي على حي باب الواد .

5- المدينة وأثرها في البنية الشعرية العامة:

للبيئة تأثيراته على شعرية الشاعر، فقد لاحظ النقاد أن لغة الشاعر وأسلوبه وخيالاته وصوره وإيقاعاته وغيرها من العناصر التي تشكل الريبيرتوار الإبداعي لديه، تتأثر كلها بالمحيط الطبيعي الذي يعيشه، وإننا يمكن أن نلاحظ صحة هذه المقاربة من خلال معاينة شعر الصعاليك في الجاهلية، وكيف أن خشونة المعجم اللغوي في أساليبهم مثلا، يعكس خشونة الحياة التي كانوا يعيشونها في الجبال والمغارات، وعلى العكس من ذلك يمكننا ملاحظة عذوبة المعجم اللغوي ورقة الأساليب والإيقاعات في الشعر الأندلسي، وهي ظاهرة تعكس أثر رقة الحياة الأندلسية وليونتها على شعرية الشاعر، انطلاقا من هذه المقاربة البسيطة يمكننا أن نفرق بين شعر الريف وشعر المدينة، فنزعم بوجود شعرية بدوية خشنة، تقابلها شعرية مدينية رقيقة.

إن الدارس لعناصر الإبداع الشعري في تجربة منيرة سعدة خلخال، سيلاحظ لا محالة أثر المدينة على طبيعة التشكيل الموسيقي في شعرها، وعلى طريقتها في التعبير والتصوير. ولعل أول ملاحظة في هذا المجال تتمثل في اصطناع الشاعرة تشكيلا موسيقيا قوامه القصيدة النثرية، وهو اختيار حداثي يتفاعل مع روح المدنية والتطور الحضاري والأدبي، إذ من الواضح أن الشاعرة لا تراهن على العناصر التقليدية من وزن وقافية في تحقيق شاعريتها، ولكنها تراهن على الشعرية في تحقيق هذا الرهان، ولذلك عمدت إلى اللغة تشكلها بطريقة جديدة فتخلق منها صيغا و معان شعرية رائدة، كقولها في قصيدة (ماء الشط) المنشورة في ديوان (لا ارتباك ليد الاحتمال):

"عندما تختلف المواسم عن ركب اللون
و تبتهج غيبة لحلول الصمت
ثلج البون
تختزل الوردة كل الورد
تتهاطل من مزن العين أحلاما
فواحة تنفث في الكون أسرار المد
يا معاني الرحيل فيك يا شاطئا له السوسن أجمل حد ..
وأودع فيك رمادي
وأودع فيك الأرق
و أوشك أهتدي إلى مثواي فيك
هذا الصدى
هذا الند" (20)

إننا نلاحظ في هذا المقطع المعبر عن أغوار الروح ونفحات الوجدان وجود عدة تطريزات لغوية ذات نسوج شعرية جديدة وجميلة مثل: (ركب اللون و(ثلج البون) و(تهاطل الأحلام من مزن العين) وغيرها من التعابير المجازية الرائعة، كما نلاحظ

اصطناع الشاعرة تشكيلا موسيقيا قوامه الموسيقى الداخلية الناتجة عن حسن تجاور الحروف في نظام الجملة، وحسن تجاور الكلمات في نظام الجملة، ثم اصطناع الأسجاع اللائطة بالأسماع في نهاية الأسطر من مثل (الورد، المد، حد، الند)، حتى لكأن الشاعرة هاهنا تعزف مقطعا من المالوف القسنطيني الجذاب عبر إيقاعات تهتز وتمتد في تناغم جميل. ومما تقدم فإننا نشاطر عزالدين ميهوبي فيما ذهب إليه حينما كتب على غلاف ديوان (لا ارتباك ليد الاحتمال) فقال " لمنيرة سعدة خلخال فضاؤها الشعري الذي يتقاطع مع فضاءات اللغة والروح والإشراق ..عندما تقرأ نصها تشعر وكأنها اختارت غمامة في سماء بعيدة وراحت تكتب عن الأشياء التي تخترق أعماقها بشدة ..فهي تنحت من لغة جميلة نصوصا راقية فيها من الدهشة ما يجعلك تصنفها ضمن شعراء الحداثة الواعية المدركة لأبعاد المعنى، المفتوحة على أزمنة الذات واحتراقات الآخر ."

ومما تقدم يمكننا أن نخلص إلى أن البنية الشعرية العامة لدى منيرة سعدة خلخال هي بنية مدينية طموحها تحقيق الشعرية بالمراهنة على القصيدة النثرية .

الخاتمة

رأينا أن المدينة امتداد لشعرية المكان ، يشكله الشاعر ويتشكل داخله وفق صور متعددة، ولقد لاحظنا من خلال دراستنا لشعر منيرة سعدة خلخال، أن للمدينة حضورا قويا في نصوصها، ويتوزع هذا الحضور ليتمظهر عبر تجليات ودلالات مختلفة ذكرنا منها ما يلي:

- تمجيد المدينة والتغني بجمالها .
- التعبير عن الشعور بالاغتراب في المدينة .
- نقد المدينة و تصوير المأساة الوطنية .
- رثاء المدينة لما ألم بها من كوارث طبيعية .

- رفض قالب الشعر العمودي بخصائصه و مقوماته الفنية المعروفة، والمراهنة بالمقابل على شكل القصيدة النثرية و على الحداثة في الإبداع الشعري.

وصفوة القول فإن الشعر الجزائري من خلال تجربة منيرة سعدة خلخال قد انتقل من مرحلة الانتصار للريف و رفض المدينة بوصفها رمزا للاستعمار ومعقله، إلى مرحلة استيعاب المدينة وتمجيدها و اتخاذها مرآة تنعكس أغوار الذات على صفحتها، كما انتقل من سيطرة التيار الإحيائي في الشعر الجزائري المشبع بالتقليد وطغيان الشكل العمودي عليه، إلى مرحلة التجديد والحداثة بتبني رهان القصيدة النثرية، و هو رهان نراه يتجاوب مع روح المدينة و إيقاعها العميق القرار.

هوامش المادة العلمية

1. إبراهيم رماني: المدينة في الشعر الجزائري 1925-1962، موفم للنشر، الجزائر 2002 ، ص 5.
2. المرجع نفسه، ص 5.
3. د . مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم الممعرفة ، رقم 196 ، مطابع السياسة – الكويت 1995 ، ص 10.
4. يوسف وغليسي: خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه)، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي، قسنطينة – الجزائر 2008، ص ص 51 - 52 .
5. إبراهيم رماني: المدينة في الشعر الجزائري، ص 339 .
6. د . مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر ، ص 75.
7. منيرة سعدة خلخال: لا ارتباك ليد الاحتمال ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، سنة 2002.
8. منيرة سعدة خلخال: أسماء الحب المستعارة ، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة – الجزائر سنة 2004.
9. منيرة سعدة خلخال : الصحراء بالباب، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة – الجزائر سنة 2006.
10. يوسف وغليسي: خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه)، ص 308.
11. منيرة سعدة خلخال: أسماء الحب المستعارة، ص ص 33 -34.
12. رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد – العراق، سنة 1984، ص 11.
13. منيرة سعدة خلخال: أسماء الحب المستعارة، ص 75.
14. إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت سنة 1978، ص 132.
15. د . مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص ص 10- 11 .
16. منيرة سعدة خلخال: أسماء الحب المستعارة ، ص ص 77 - 78 .
17. منيرة سعدة خلخال: الصحراء بالباب، ص ص 9 – 10.
18. منيرة سعدة خلخال: الصحراء بالباب، ص ص11- 12.
19. منيرة سعدة خلخال: الصحراء بالباب، ص 45.
20. منيرة سعدة خلخال: لا ارتباك ليد الاحتمال، ص 27.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

1- منيرة سعدة خلخال:لا ارتباك ليد الاحتمال، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، سنة 2002.

2- منيرة سعدة خلخال: أسماء الحب المستعارة، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة – الجزائر سنة 2004.
3- منيرة سعدة خلخال: الصحراء بالباب، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة – الجزائر سنة 2006.

ثانيا : المراجع

4- إبراهيم رماني: المدينة في الشعر الجزائري 1925-1962، موفم للنشر، الجزائر 2002.
5- إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت سنة 1978.
6- رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد – العراق ، سنة 1984.
7- مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم الممعرفة، رقم 196 ، مطابع السياسة – الكويت 1995.
8- يوسف وغليسي: خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه) ، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي، قسنطينة – الجزائر 2008 .